نشأة الاتجاه المذهبی فی الشعر العربی و إسهام أهل شبه القارة فیه

الدکتور عبدالکبیر محسن*

حافظ عبدالحنان**

The sub- continent remained the joint of various sects including jurisprudential and Sufism, so there is no sect in Islam but it has its followers in the country. They had much influence there such as they had assistance from the politician and promoted their agenda through their prominent scholars in the institutes. So that the sub - continent had Arabic poets who had contributed in the field of poetry they had actually inter linked with any of the sect which made them to concentrate on the spirit of such sect in their noble work. So, this article will through some light on the same topic.

ظلت بلاد الهند مجمع المذاهب المختلفة والمسالك الفقهية والطرق الصوفية والمشارب السلوكية فما من فرقة ظهرت فی الإسلام إلا ووجدت أتباعها من أبناء البلاد فأصبحت لكل من هذه الفرق دوائر التأثير وقد ثبت لبعضها تعلق بمراكز الاقتدار ومنابع الحكم فساعدها ذلك على الذيوع والانتشار والانتصار على نظيراتها وكانت لها كذلك مدارس ومعاهد تمتلئ بالعلماء الذين يؤيدون مسلكهم بتأليف الكتب واقتحام المناظرات

فلما كان شعراء العربية من أهل شبه قارة باكستان والهند علماء وهم من جراء ذلك ينتمون إلى أحد هذه المذاهب الفقهية وبعضهم عد من من أعيانها فاختبر بعضهم قريحته فی إثبات مقالته المذهبية و قرض شعراً فهكذا تمطى لنا اتجاه شعری خاص بهذا النمط الذی خلف لنا قدرا غير يسير من الإنتاج الشعری وها نحن متصدون له محللون فی هذا المقال

منهم الشاه ولی الله الدهلوی(۱) حيث يأخذ على كتيب ألفه أحد معاصريه الشيخ صدر عالم الدهلوی ودرج فيه بعض الأفكار التی بعثته على النقد عليه، منها فكرة تفضيل سيدنا علی رضی الله عنه على سائر الصحابة وهی عقيدة تحملها الشيعة منذ ظهورها وقد نشب من جراء ذلك صراع عنيف بين شعراء الشيعة وبين مخالفيهم بعد مقتل سيدنا عثمان رضی الله عنه

* أستاذ اللغة العربية فی كلية أصغر مال الحكومية،راولبندی.

** ليكچرار، دعوة اكيڈمی، بين الاقوامی اسلامی يونيورسٹی، اسلام آباد.

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

فسبب ذلك ظهور قدر كبير من الإنتاج الشعرى يملأ دوانين الشعراء ، اتسم كثير من الشعراء العرب بالاتجاه المذهبى فى كل فرقة لها وجودها فى ذلك العهد مثل الشيعة والخوارج والمعتزلة والمرجئة ثم الأحزاب السياسية مثل حزب بنى أمية وحزب بنى العباس والعلويين وغيرهم فكل من هؤلاء وجدوا شعراء يناصرونهم بشعرهم ويثبتون فكرتهم وينقضون دليل الآخرين فكان لذلك أثر كبير فى نشر الأفكار وجذب الناس إلى فرقة يؤيدها هو وهكذا ثرى الأدب العربى بلون جديد من الشعر فأول من اتخذ شعره وسيلة لإثبات افكاره المذهبية هو الكميت صاحب الهاشميات فعمله هذا يعتبر إضافة إلى الأدب العربى وإثراء له بمادة شعرية تتجه بنوع لم يكن معروفا من قبل وجديدا على أساليب الشعر العربى (٢) وإن كان شيء من الأفكار المذهبية يوجد فى الشعر الجاهلى مثل فكره إنكار البعث بعد الموت حيث قال بعضهم :

حَيَاةٌ ثمَّ مَوْتٌ ثم بَعْثٌ حَدِيْثُ خُرَافَةَ يا أمَّ عَمْرِو

ويصرح صاحب الأغانى (٣) أن الأعشى كان ينكر قدرة الله على عباده الشر الفكرة التى بثها المعتزلة فيما بعد ، كما يظهر من شعره التالى :

استأثَرَ اللّٰهُ بالوفاء وبالعَدْلِ ووَلّى الْمَلَامَةَ الرَّجُلَا

وكان لبيد (٤) يرى فكرة الجبرية (٥) كما يبدو من شعره الآتى :

مَنْ هَدَاهُ سُبُلَ الخير اهتَدَى ناعِمَ الْبَالِ ومَنْ شَاءَ أضَلَّ(٦)

فلم يبال النقدة بهذه الأفكار ولم يوجهوا هذا الشعر إلى الاتجاه المذهبى لكونه غير واضح وضوح شعر ظهر وجوده فى وسط القرن الأول الهجرى فذهب أكثرهم إلى اعتباره جديدا على الشعر العربى

فمذهب الشيعة كان أغنى المذاهب من حيث إنه وجد من يدعمه ويناصره ويثبت حجته بالكلمة والبيان، الإنتاج الشعرى الذى قرضه شعراء الشيعة يعد أغزر الشعر العربى المتجه بهذا اللون مادة ومن أشهرهم كثير (م ١٥٠ه) الذى كان غاليا فى تشيعه وكان مؤمنا بتناسخ الأرواح كما يعتقد الهندوس (٧) وهو الذى قال :

ألا إنَّ الأئِمَّةَ مِنْ قريش وُلَاةُ الحَقِّ أربعةٌ سواءُ

عَلِيٌّ والثلاثةُ مِنْ بَنِيْهِ هُمُ الأسْبَاطُ لَيْسَ بِهِمْ خَفَاءُ (٨)

فنجد هذه الفكرة سائدة على أدب الشيعة ، ومنهم السيد الحميرى ومنصور النمر

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

ودعبل الخزاعى وأمثالهم، وكذا شأن الفرق الأخرى التى كانت وليدة هذا العصر مثل الخوارج والمعتزلة والمرجئة وقد كان للمعتزلة أثر كبير فى إثراء الأدب العربى من حيث المعانى وقوة المنطق وتوليد الأفكار والنظر إلى الكون وإلى الطبيعة ، أما بلاد الهند فلم تتقوَّ فيها هذه الفرق المذكورة ولم تشتهر اشتهار الشيعة

فالشيخ صدر عالم لما أرسل بكتيبه المذكور إلى الشاه ولى الله قرضه بقصيدة نقد عليه فكرة تفضيل سيدنا علىؓ على الخلفاء الثلاثة الأوَل وآخذه بذلك ومما قاله بهذا الصدد :

وإذ أدْنَاكَ سيدُنا عليٌّ بإكْرَامٍ وعَلَّمَ ما يَشَاءُ (٩)
تُؤلِّفُ فى مَنَاقِبه كتابا وعِنْدَ اللّٰهِ فى ذالك الْجَزاءُ

حتى قال :

قَبُول الناس للتنزيل فيه سياسات له منها نَمَاءُ
فَمِنْهَا رَدُّ تَحْرِيفٍ ومَدٌّ لأسباب له منها انْتِشَاءُ
وصُلْحٌ واختصام وائتِلَافٌ بأقوام قُلُوْبُهُمْ هَوَاءُ
لِهٰذَا القسم أسرارٌ عِظَام وللشيخين فيه اعْتِلَاءُ
وما نَالَ الصحابَةَ عارٌ فيه يقيناً مِثْلَ ما طلعَتْ ذَكَاءُ
فَأَثْبِتْ ذاك للشيخين واخْتَرْ من الأوصاف مَدْحاً ما تَشَاءُ (١٠)

وله كذالك أبيات مقرظاً بها على بعض رسائل خواجه محمد باسط الدهلوى وكان يرى رأى صدر عالم فى تفضيل سيدنا علىؓ كليا فنصحه الشيخ إلى سواء الصراط فيه ووضع له ضابطاً حيث قال :

وما كان مِنْ مَدْحٍ فَفِيْهِ ثَبُوْتُهُ وما كان مِنْ قَدْحٍ فَذَا عَنْهُ حَائِطٌ (١١)

ومن الشعراء الذين نهجوا منهج أسلافهم من شعراء الشيعة فى قرض الشعر التفضيلى المثبت لحجة الشيعة السيد على معصوم الدستكى (م ١١١٧ ه) وقد بالغ فى مدح سيدنا علىؓ حيث قال :

أمِيْرَ المؤمنين فَدَتْكَ نفسى لَنَا مِنْ شأنك الْعَجَبُ الْعُجَابُ
تَوَلَّاكَ الأولى سَعِدُوا وفازُوْا ونَاوَاكَ الذين شَقُوْا فخَابُوْا
ولو عَلِمَ الوَرىٰ ما أنت أضْحَوْا لِوَجْهِكَ ساجدين ولم يُجَابُوْا
يَمِيْنُ اللهِ لو كُشِفَ الْمُغَطى ووَجْهُ اللّٰهِ لو رُفِعَ الحِجَابُ

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

حتى قال أخيرا :

فلولا أنت لم يخلق سماء ولولا أنت لم يُخلَقُ تُرَابٌ (١٢)

فهـذا هـو الإطراء الذى اشتهر به بعض شعراء الشيعة فى كل العهود ، منهم أيضا السيد حامد حسين فيض آبادى ولى شعر جيد فى المديح والحماسة والنسيب وقد نظم عدة قصائد فى مدح سيدنا علـىؓ ومنها ما أورده صاحب نزهة الخواطر (١٣) بدأها بالتشبيب ومن جودة استهلاله إنه ذكر خمسة أسـماء تقليدية مما يرد به التشبيب فى الشعر العربى التقليدى وبعد أحد وعشرين بيتا فى النشبيب يتحول إلى الغرض الذى من أجله ساق تلك القصيدة وقال :

طوبىٰ لِشَهْرٍ أتَانا واسمه رَجَب فيه وِلادَةُ نُورٍ مِنْ بنى طٰهٰ

أعْنِىْ به حيدرا فى المهد عهد صبى مولاى خَيْرُ بنى الدنيا وأزْكَاهَا

هو الذى كان بَيْتُ الله مَوْلِدُهٗ وذى الرواية صَحَّتْ فاعْتَقَدْنَاهَا

ومـنهـم بـاقـر لـكـنـوى (م ١٣٤٦ه) أورد صـاحـب الـنـزهة لـه قصيدة طويلة فى هذا الـمـوضـوع (١٤) ومستهـلهـا التشبيب المعروف ثم أخذ فى الفخر الذاتى والنقد على خصومه وأطال البيان فى الافتخار بقومه والانتساب إليه ووصفه بأوصاف الشجاعة والإباء حتى قال :

ومِنَّا عَلِيٌّ خيرُ مَنْ وَطِئَ الْحَصى وأكْرَمُ مَنْ يَعْلُو مُتُوْنَ السَّوَابِقِ

وأنْدَى الورى كَفّاً وأطول غالب قَنَاةً وأرْعَاهم ذمام المياثق

وأعْظَمُهُمْ عِلْما و حِلْما ومفخرا وأجْمَعُهُمْ لِلْمَكْرُمَات السوابق

ويصفه بشدة البأس فى الحروب وخص بالذكر يوم صفين حيث قال :

وما كَفَّ حتى قد جَرىٰ مِنْ دِمَائهم بِصِفِّيْن أمثالُ السُّيُوْل الدوافق

نـجـد الشـاعر لا يخوض فى الأمور المتنازع فيها بين الشيعة وأهل السنة وقد غلبه بيان أوصـاف الكرم والجود والإغاثة والشجاعة إلا إن مسئلة التفضيل بدت بقوة لديه وهذا لا يبالى به كثيـرا إذا لم ينظر إلى خلفية الشاعر لأن الشعراء فى القديم والحديث على المبالغة فى مدح الأمراء حتى يدنو أدناهم كأنه أفضل من يمشى على سطح الأرض

يـظهـر مـن دراسة ما سبق من الإنتاج الشعرى لأهل شبه القارة أنه لم يبلغ فى المعارضة وقـوة الـحـجة الـدرجة التى بـلـغهـا إنتاج الشعراء العرب بهذا الصدد زمن الصراعات العنيفة بين الأحـزاب الـمتـصارعة والسبب فى يرجع إلى طبيعة ساكنى شبه القارة و هدوء كان يعمّ البلاد فى مـعـظـم الأحيـان وثـمة سبـب آخر وهو أن هؤلاء الشعراء ـالذين كانوا علماءـ فضلوا للتعبير عن

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

معتقداتهم ومحسوساتهم النثر على النظم فألفوا كتبا فى هذا المجال لإثبات ما أرادوا إثباته وفى الرد على مخالفيهم أما شعرهم العربى فلم يكن ذا تأثير بالغ فى نفوس الشعب لكون أكثرهم لا يفهمون هذه اللغة فلم يكن لشعرهم من تأثير ما لكتبهم التى وضعوها باللغات المحلية

هذا جانب من هذا الاتجاه المذهبى ولا يتم الكلام إلا إذا سقنا إنتاجا شعريا يعارض ما سبق من شعر التشيع فقد كان الصراع بين الفريقين متواجدا فى البلاد وإن كان فى صورة الجدليات والمناظرات اللسانية فى الأغلب الأعم (١٥) عثرنا على شعر أهل السنة ينقض دليل الشيعة ويذكر فضائل الصحابة عموما وفضل الخلفاء الراشدين خصوصاً وفيما يلى بعض النماذج التى بهذا الاتجاه :

أصحابه وهُمُ الْعُدُوْلُ جميعهم هم حافظوا أحكامهم الأمَنَاءُ
هُمُ كَالنجوم مَنِ اقْتَدىٰ بهم اهْتَدىٰ ولِرَبّنَا عَنْهُم وعنه رِضَاءُ
نُخَبٌ لِنُصْرَةِ دِيْنِهِ ونبيه هَلْ فى الدهور كمثلهم سُعَدَاءُ
ما فى تَلَامِذَةٍ فَمِنْ أستاذهم وكَمَالُهُمْ لِكَمَالِهِ إفْشَاءُ

ثم الشاعر يوجه النصيحة والرد فى نفس الوقت إلى من فى قلبه شىء من الصحابة فنراه يخاطبه ويعتبر بغض أحد من الصحابة فتنة ويحذره من الوقوع فيها ويقول :

خَطَرٌ عظيم نَقْصُهم أو بُغْضُهم لهما إلى أستاذه إفْضَاءُ
يا مُبْغِضاً مَهْ أن تُبْلىٰ بهم لا رَيْبَ تلك الفتنة الْعَمْيَاءُ (١٦)

فتبدو روح المعارضة بصورة أقوى من إنتاج الشيعة الذين لم يصرحوا بما قصدوا به من بغض الصحابة أو سبهم وإنما دار خيالهم الشعرى فيما عثرنا عليه حول مسئلة التفضيل فقط حيث إن إنتاج مخالفيهم من أهل السنة لم يتعد أيضاً إثبات مقالتهم وحجتهم وتقديم الدليل المدعم بالأسلوب المنطقى ثم النصح للخصوم ، أما التحدى والصراحة بالرأى والعقيدة (ونجدهما بارزين فى الإنتاج الشعرى لشعراء الأحزاب من العرب) فلا وجود لهما فى شعر أهل شبه القارة الذى عمه الهدوء وساده اللين فى الكلام ، ومن أمثلة هذا القبيل من الشعر ما يلى :

وكَمْ مِنْ رِجَال أكْرِمُوْا بِدُعَائِهِ فَمَا مَسَّهُم حَرٌّ ولا مَسَّهُم بَرْدُ
وهُمُ كَنُجُوْمٍ نَهْتَدِى بِبَرِيْقِهَا فَهَدْيُهُم هَدْىٌ ورُشْدُهم رُشْدُ
حَيَاتُهُم لِلّٰهِ والمَوْتُ مِثْلُهَا غَدَا الجوع عين الشعب وَالْحَرْبُ يَشْتَدُّ
تَظُنُّهُمْ فى السِّلْمِ مثل مشائخ وفى الحرب تَلْقَاهُم كأنهم أُسُدُ

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

نَهَاراً هُمُ الْفُرْسَان رُهْبَانُ لَيْلِهِم فجهدهم جُهْدٌ وزُهْدُهُم زُهْدٌ (١٧)

عرض بعد هذه الأبيات بمن يبغض أصحاب الرسول عليه السلام ورماهم بالجهل :

وليسوا بأغماد كما ظَنَّ جاهِلٌ فَكُلُّهُم سَيْفٌ أَحَاطَ به غِمْدٌ

وخص بالذكر منهم اثنين فى بيتين تاليين أحدهما علىؓ الذى يفضله الشيعة على غيره من الصحابة والثانى عثمانؓ الذى يبغضه القوم فكأنه بالجمع بينهما يبين عقيدته وهى الحب للكل منهم وعدم البغض لأى واحد ويوضح أن لكل فضلا ولا يلزم من الاعتراف به نقص الآخر :

وأَنْفَقَ كُلَّ المال عثمانُ حِسْبَةً فَبُشِّرَ بِالْجَنَّات حَقَّ له الْوَعْدُ

وأعْطىٰ عَلِيّا ذا الفقار بِخَنْدَق فطافَ بأحزاب طَغَتْ وهُوَ الْفَرْدُ

ومن الذين جمع بالذكر بين الخلفاء الأربعة إشعارا بالمودة بينهم طلاء محمد بشاورى :

ثم الرضى عن جميع الصَّحْبِ قَاطِبَةً لا سيما عن أبى بكر وعمر

عن ابن عفان ذى النورين بعدهما وعن على مُحِيْطِ العلم والخبر (١٨)

ومن شعراء أهل السنة الشيخ الجليل ظفر أحمد التانوى وقد بسط البيان فى مدح الصهابة ويذكر أكابرهم بالخير و الثناء عليه وجعلته الحماسة على حب الصحابةؓ أن ساق ذكرهم وبيان تضحياتهم فى المعارك وحقل الدعوة قبل أن يأخذ فى فى المديح النبوى وذلك فى القصيدة الرائية من مدائحه النبوية (١٩) ونجده يعرض بمن يبغض الصحابة دون التصريح بذكرهم تبعا للمنهج السائد فى إنتاج البلاد الشعرى الصادر من كلا الفريقين وذلك فى البيت التالى :

ولن تبتغى إلا لَدَيْهِم هِدَايةً وما حادٍ عَنْهُم غيرُ غَمِرٍ مُزَوِر

وممن جمع بين الآل والأصحاب عبد المنان الدهلوى حيث قال :

وعظمة الآل والأصحاب ثابتة تَبًّا لِمُنْكِرِهَا وَيْلٌ لِمَنْ جَهِلُوا (٢٠)

فيحس المطالع فى شعر الصراع والمعارضة الصادر من الطرفين بأنه لم يبلغ فى حدة التعصب المذهبى مبلغ أسلافهم من الشعراء العرب فى العهود الأولى ولعل مرور الدهر أبرد الشعل التى كانت مرتفعة ارتفاع السماء ثم نظرا إلى طبيعة البلاد والعصر حيث إن معظم هذا الإنتاج ظهر فى زمن الاحتلال الإنجليزى الكافر الذى كان عدوا مشتركا للكل الطوائف المسلمة فهذا جعلهم اختاروا الأسلوب اللين الهدوء فى البيان حتى لا تضعف شوكتهم أمام هذا الخطر الأجنبى المشترك لأن قادتهم كانوا متراصين أمام الاحتلال وما أرادوا أن يشغل بالهم شيء ما عدا مقاومة العدو الأجنبى

تنقسم طوائف أهل السنة فى بلاد شبه القارة-باكستان والهند- إلى ثلاثة أحزاب وهى:

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

١ـ الديوبندية، نسبة إلى ديوبند قرية فى الهند اشتهرت بوجود دار العلوم فيها أعظم مدرسة دينية على الإطلاق ولها فضل كبير فى نشر العلوم الدينية وتخريج جم غفير من العلماء الذين ساهموا فى النشاطات المذهبية والسياسية أيام الاحتلال وهذه الطائفة من الأحناف ولكنهم عرفوا فى الهند وباكستان بالديوبنديين نسبة إلى دار العلوم المذكوره تمييزا بينهم وبين طائفة أخرى من الأحناف الذين عرفوا ب :

٢ـ البريلوية : وهم مقلدو الإمام أبى حنيفةؒ مثل السابقين ولكنهم امتازوا عنهم فى بعض المعتقدات ، وهى نسبة إلى بريلى قرية مشهورة فى الهند وهى مولد الشيخ الجليل احمد رضا خان البريلوى الذى نال قسطا كبيرا من الفضل فى نشر بعض المعتقدات التى ميزت البريلويين من الديوبنديين

٣ـ أهل الحدث ، رفضو التقليد لأحد من الأئمة الأربعة وغيرهم ، أمثالهم يعرفون بالسلفيين فى بلاد العرب أما هؤلاء فى شبه القارة فقد أطلق عليهم أيضا اسم الوهابية وخاصة فى زمن الاحتلال حيث برزت عدة من الحركات المقاومة للاحتلال وقد رأسها علماء من الديوبندية وأهل الحديث

فاخترع الإنجليز هذا اللقب ـ كما يرى البعض ـ ليشعر أن لهم صلة بحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدى وابن سعود فى جزيرة العرب ، تعايشت هذه الطوائف معا فى الهند وبينها خلافيات فرعية فقام الصراع بينها فى شكل الجدليات الكلامية والمناظرات وتبادل الانتقادات فيما بينهم نثرا ونظما بلغات محلية ومنها اللغة العربية التى تعتبر لغة مذهبية لجميع الطوائف المذهبية من الشيعة وأهل السنة ، وقد أنتج من الشعر العربى كثير بصدد المعارضة المذهبية وهذا ما نعنى بدراسته فى هذا المقام

قد عثرنا على عدة قطع شعرية تتناول النقد المذهبى ومنها ما سمحت به قريحة الشيخ أحمد رضا خان البريلوى وكان معروفا بالعنف فى كتاباته ضد مخالفيه فى المذهب فشعره كذالك يتسم بسلاسة التعبير وقوة الحجة ، يقول فى أحدى قصائده منتقدا على [أبى الوهابية الدهلوى الذى سمى أذنابه الموحدين] (٢١)

تَعْساً لِمَنْ بِالاعْتِزَا لِ وبِالتَّوَهُّبِ جاءُ وُا
ذا أَهْلُ تَوْحِيْدٍ وذا كَ مُوَحِّدٌ غَرَّاءُ
تَشَابَهَتْ قُلُوْبُهُم فَتَنَاسَبُ الأَسْمَاءُ (٢٢)

وله [رادا على وهابية الكنكوهى](٢٣) :

ولا أَدْرِىْ وسَوْفَ إخَالُ أَدْرِىْ أَقَوْمٌ آلُ نَجْدٍ أَمْ نِسَاءُ (٢٤)
فَمَنْ فِىْ كَفِّهِ منهم خِضَابٌ كَمَنْ فى كَفِّهِ منهم لِوَاءُ

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

فَمَا فِيهِمُ رشيد الصدق إلا وإنْ تُمعِنْ فَرُشْدُهم هَوَاء (٢٥)
فما مَعْنى تَحاوُرِهِم ولكن عَسَى الْحَنَّانُ يَهْدِىْ مَنْ يشاء (٢٦)

نـجـد الشـاعـر قـام بـصـراع عنيف وهذا عكس ما ألفناه فى النماذج الشعرية السابقة الذكر لشعراء الشيعة وأهل السنة حيث كانوا يرمون خصومهم بالقول المتحلى بالمنطق والأدلة العقلية أما هذه الـصـراحة بـالبيان واستخدام الأسلوب الشنيع فكأنه جدة فى شعر الاتجاه المذهبى فى بلاد شبه القارة ، ولـكم نموذج آخر بنفس النمط من الشدة و الحدة وهو من قصيدة قرضها الشيخ ناقدا على مخالفيه فى المذهب (٢٧) فى الابتداء يتوجه الشاعر إلى الله تعالى بحمده ويطلب منه النصر عليهم فقال :

لاهُمَّ قد هجمَ العدى مِنْ كُلِّ شأوٍ وأُبعد
فى خَيلِهم ورجالهم مَعَ كُلِّ عَادٍ مُعْتَد ، يقول بعد عدة أبيات :
لا بارَكَتْ يَدُ رَبِّنَا فى نَجْدِ أهْلِ مَفَاسِد
فِيهَا الزَّلازِلُ والفِتَنْ وبها جُنُودٌ مطرد
هى مَطْلَعُ الْقَرْنِ الدَّنِيّ قَرْنِ الْعَبِيْدِ الأعْنَد
فبذا أتانا العِلْمُ فى خَبَرٍ صَحِيْحٍ مُسْنَد (٢٨)

يبيـن الشـاعـر وجهة نـظـره فـى هـذه الأبيات عن وجهة نظره عن وجود الصلة بين مخالفى مـذهبـه وبيـن رهـط الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكان مولده نجدا إقليما فى المملكة العربية السعودية ولذا وجدناه فى أبياته السابقة الذكر يطلق عليهم اسم (الوهابية) وكانت معتقداته تماثل معتقدات هؤلاء والشـاعـر يـختـلف عنهم فيها فهذا ما بعثه على هذا النقد ، لم يشر الشاعر إلى المسائل التى بعثت النزاع بيـنهـم إلا أنـه يعتبرهم من أهل البدع ويرميهم باتصافهم الزيغ والبطلان وذلك فى قصيدة أخرى من هذا الاتجاه حيث يقول :

شَرَّفْتَنَا بِالحَقِّ فَانْصُرْنا على بِدَع العُنُوْدِ ونَزْعَةِ المُجَّان
حتى نكون حُمَاةَ دِيْنٍ قَيِّمٍ ومُحَاةَ شرِّ الزيغ والبطلان (٢٩)

أما نقيضه الشعرى من الطرف المحاذى فهو مثيله فى الشدة والعنف ، يتقدم أحدهم معارضا هذا الشعر ومبدياً رأيه فى إطلاق لقب (الوهابية) على حزبه المذهبى فيقول :

إنْ كانَ هَدْىُ مُحَمَّدٍ و سَبِيْلُهُ ذاك التَّوَهُّبُ فَادْعُنِى وَهَّابى (٣٠)

وله فى مدح حزبه المذهبى (أهل الحديث) ومعرفا إياه ومظهرا معتقده :

أهْلُ الْحَدِيْثِ عِصَابَةٌ نَبَوِيَّةٌ تَرْضىٰ بِفِعْلِ المصطفى وبِأَمْرِهِ

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

وتَحُطُّ رأىَ الناسِ أوْ أقْوَالَهُمُ حَطَّ السُّيُوْلِ الصَّخْرَ أعْلى صخره (٣١)

فهـذه عـدة أمثـلة من شعر المعارضة المذهبية التى بدت لدى الفرق المذهبية فى باكستان و الهنـد وفيـما يلى نقدم أمثلة أخرى تتسم بالاتجاه المذهبى وقد تناول فيها أصحابها بعض المسائل التى كـانـت متنازعة بينهم فمنها ما قاله عبد العزيز الملتانى فى إثبات رفع السبابة فى التشهد وقد أنكره قوم وله فى هذه المسئلة رسالة كذلك ومما قاله بهذا الصدد :

عبد العزيز يقول نظما فَابْتَغُوْا حُكْماً صحيحا بالنصوص مُؤَيَّدا
إنَّ الإشارَةَ سُنَّةٌ مأثُوْرَةٌ قَدْ جَاءَ مِنْ جميع الصحابة مُسْنَدا
بِحَدِيْثِ خَيْرِ الْخَلْقِ صَحَّ بيانُهُ فَاعْمَلْ بِهذَا الْخَبَرِ حتى تَرْشُدَا
وبالاتفاق مِنَ الأئمة كُلِّهِم كأبى حنيفة وصَاحِبَيْهِ و أحْمَدَا
والشافعى ومالك فَاتَّبِعْهُم إذ مَنْ يُخَالِفُهُم فليس بِمُقْتَدَا (٣٢)

ومـنهـم مـحـمـد أحـمـد الـطـوكى ، كتب عنه صاحب النزهة : كان شديد التعصب على الأحـنـاف (٣٣) نـظـم قـصيـدتيـن فـى ذم المقلدين للأئمة إحداهما تقع فى مأتين واثنين وثمانين بيتا وأخرى تربو على مأئة وخمسين بيتا (٣٤) ولكم بعض أشعاره بهذا النمط :

إلَى اللّٰهِ أشْكُو المشركين بِبَلْدَةٍ بُلِيْتُ بها منكم بكَرْبٍ وغُرْبَةٍ
أقَمْتُ لَدَيْهِم مُدَّةً فى دِيَارهم كَئِيباً حَزِيْناً مِنْ أذَاهُم وجَفْوَةٍ(٣٥)

وكـان لشـدتـه فـى اعتـقـاداته تعرض لسخط من حاكم البلدة الذى سجنه ثم أطلق سراحه بشفاعة من عمه : وإليه يشير البيت التالى :

وضَاقَتْ عَلَيَّ الأرضُ جِدّا بِرَحْبِهَا هجوما لأنواع الحطوب الْمُلِمَّة

ويصف مخالفيه بكونهم أهل البدع قائلا :

وَجَدْتُهُم عُمْيا عن الحق والْهُدىٰ ومُقْتَحِمِيْ لُجِّ الضلال وبِدْعَةٍ

وله فى ذم التقليد والحث على اتباع السنة :

وذَكَّرْتُ بِالْقُرْآن سِرّاً وجَهْراً ورَغَّبْتُهُم فى الاتباع بِسُنَّةٍ
و أخْبَرْتُ عَنْ بُطْلَان تقليد مذهب وعَرَّفْتُهُم ما جاء نا مِنْ أدِلَّةٍ

وهذا الذى أغضب الناس عليه وسبب إعراضهم عنه :

وأغْضَبَهُم إنكارُ تَقْلِيْدِ مَذْهَبٍ وعَزَّهُمُ إنكارُ زُوْرٍ بِكَثْرَةٍ

رأى أحد الفرق المذهبية (٣٦) القيام عند ذكر ولادة الرسول عليه السلام فيقول زعيمهم المذهبى :

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

تولهُ وقُمْ بالوَجْدِ قَوْمةَ والهٍ فَحَقَّ خُضُوْعُ الْوَجْهِ رَغْماً لِكَارِه (٣٧)

هـذا مـا يتـعلق بشعر الجدل من قرض الشعراء وهم العلماء المنتمين إلى الفرق الفقهية الموجودة فـى بلاد شبه قارة باكستان والهند ، وثمة إنتاج شعرىٌ كبير قُرض فى معارضة فرقة القاديانية وهم الذين صدقوا الـمتـنبـئ الـكـذاب مرزا غلام أحمد القادياني واعترفوا بنبوته فنشط المسلمون ضدهم بكل ما لديهم من وُسع وطـاقة مـن تـأليف الـكتـب وقرض الشعر بجميع اللغات الهندية وخوض المناظرات ضدهم ، ما يتعلق بالشعر الـعـربـى بهـذا الـصـدد فـقـد درسناه فى مقال خاص نشر بعنوان : جهود علماء شبه القارة فى مقاومة الحركة القاديانية (٣٨) فنحيل القارئين إليها۔

الهوامش

(١) مـن الأعـلام البـارزين فى الهند فى القرن الثانى عشر الهجرى ، له ولسلالته من بعده خدمات جليلة فى نشر الحديث

(٢) شـوقـى ضيف، الدكتور: التطور والتجديد فى الشعر العربى ، طبعة سادسة دار المعارف القاهرة ، ١٩٨١م، ص: ٢٥٥

(٣) أبو الفرج الإصبهانى ، الأغانى ، مؤسسة جمال ، بيروت ١٣٩٨ ه ـ١٩٧٨ م : ٩/ ١١٣

(٤) يعد من أبرز شعراء العصر الجاهلى أسلم وترك قرض الشعر بعد إسلامه

(٥) تعنى هذه الفكرة أن الإنسان مجبور محض فلا اختيار له فى الخير أو فى الشر

(٦) المرجع السابق: ١٢/ ٣ (٧) السابق : ٩/ ٢٥٨

(٨) السابق: ٩/ ١٤

(٩) يشير بذلك إلى رؤيا ذكرها المؤلف فى كتابه وهى أنه رأى سيدنا علىؓ أدناه إليه وعلمه.....

(١٠)الـدهـلـوى، ولـى الـلـه ، التفهيمات الإلهية (بالفارسية) المجلس العملى بمدينة دابهيل ، سورت (الهند) ١٩٥٥م، ص: ٦٢_٦٣

(١١) الحسنى، عبد الحى الكنوى ، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ، طبعة أولى بمطبعة دائرة المعارف حيدر آباد دكن (الهند) ١٣٦٦ه ـ ١٩٤٧م : ٦/ ٢٨٨

(١٢) فيه رعاية لأبى تراب، كنية سيدنا علىؓ كناه بها الرسول ﷺ ، انظر الأبيات فى : نزهة الخواطر : ٦/ ١٨٦

(١٣) راجع: ٨/ ٩٧ (١٤) انظر : ٨/ ٤١٢

(١٥) لم يتحول هذا الصراع اللسانى إلى حروب ومناوشات إلا أحيانا قليلا وقد عاش الفريقان فى الأيام السالفة بهدوء وأمن والحال قد تبدل بعض التبدل فى أيامنا هذه ، ندعو الله أن يرزقنا الأمن والسلامة

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

(١٦) مـجـلة الـرشيـد، العدد الخاص بالمدائح النبوية بثلاث لغات ، المكتبة الرشيدية ، لاهور، من قصيدة المفتى جميل أحمد التانوى، انظر مجلة الرشيد ص: ١٣٥ـ١٤٠

(١٧) المرجع السابق : ١٩١ (١٨) السابق: ١٩٩

(١٩) السابق : ٢٠٠ـ ٢٠٥ (٢٠) السابق : ٢٥٠

(٢١) انظر العبارة التى بين [ ] فى حدائق بخشش ، وهو ديوان شعره : ٣/ ٩٠

(٢٢) السابق، نفس الصفحة (٢٣) السابق

(٢٤) القوم يطلقون على خسومهم لقب [نجدى] إشعارا بأن لهم علاقة مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدى

(٢٥) مـخـاطَبـه فـى هذه الأبيات الشيخ رشيد أحمد الكنكوهى من علماء الديوبندية ففى تركيبه: رشيد الصدق رعاية لاسمه

(٢٦) حـدائـق بخشش ، ديوان شعر الشيخ أحمد رضا خان بريلوى ، الطبع القدهم فى مدينة بتياله (الهند) الجديد فى مطبعة كنج شكر لاهور (باكستان) : ٣ / ٩٠

(٢٧) نشـرت هـذه الـقـصيـدة مع قصيدة له أخرى بعنوان: قصيدتان رائعتان ، بتحقيق محمد أحمد الصباحى ، تحت إشراف المجمع الإسلامى بمدينة مباركفور ـ الهند ـ سنة ١٤٠٩ ه

(٢٨) السـابـق ، ص : ٣٦ ، إشـارة إلـى قول الرسول عليه السلام مشيرا بيده إلى جهة المشرق من المدينة المنورة أنها موضع الفتن وقد أخذ بهذا الحديث كل حزب مذهبى وطبقه على خصومه، كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُوْنَ

(٢٩) السابق : ٣٤

(٣٠) سـورتى، عبد الرحمن طاهر، تاريخ ادب عربى (ترجمة أردية ل : تأريخ الأدب العربى لأحمد حسن الزيات ، مطبع غلام على ، لاهور ، ص: ٦١٢ والمترجم ابن قائل هذه الأبيات

(٣١) السابق (٣٢) نزهة الخواطر : ٧ / ٢٩١

(٣٣) راجع : ٨ / ٣٨٥ (٣٤) السابق ، نفس الصفحة

(٣٥) السابق : ٨ / ٣٨٦ (٣٦) وهم البريلوية من الأحناف

(٣٧) البيت للشيخ أحمد رضا خان ، حدائق بخشش : ٣ / ٩٠

(٣٨) نشر فى مجلة قسم العلوم الإسلامية للجامعة الإسلامية ، بهاولفور، المجلد : ١٨، العدد : ١ ، ٢٠١٣ م

☆☆☆☆☆

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.